

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٢

البعثة النبوية وحمد سيرته صلى الله عليه وسلم قبلها

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطًا فِي قُوَّةِهِ وَأُمَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَقَاهُمْ
بَلَّ أَرْقَى الْبَشَرِ فِي زَكَاةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، نَشَأَ يَتِيمًا شَرِيفًا،
وَسَبَّ فَقِيرًا عَفِيفًا، ثُمَّ كَانَ زَوْجًا مُحِبًّا لِزَوْجِهِ مُخْلِصًا لَهَا، وَلَمْ يَتَوَلَّ
هُوَ وَلَا وَالِدَهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ قُرَيْشٍ فِي دِينِهَا وَلَا دُنْيَاهَا، وَلَا كَانَ
يَعْبُدُ عِبَادَتَهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ سَائِرَهُمْ وَلَا نَدَوْتَهُمْ، وَلَمْ يَنْظِمِ الشُّعْرَ كَمَا
كَانُوا يَنْظِمُونَ، وَلَا عُنِيَ بِالْخُطَابَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَنُونَ، وَلَمْ يُؤْتَرَ عَنْهُ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ يَدُلُّ عَلَى حُبِّ الرِّيَاسَةِ، أَوْ الْبَحْثِ فِي شُؤْنِ السِّيَاسَةِ؛
وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ خُرَافَاتِ أَجْلَاهِلِيَّةٍ وَضَلَالَاتِ الشُّرْكِ،
وَلَا مِنَ الْمُفَاخِرَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَشُؤْنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَجِبُ
الْعَزْلَةَ، وَيَأْلَفُ الْوَحْدَةَ؛ وَرُوِيَ أَنَّهُ فِي حَدَائِثِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مَرَّتَيْنِ،
أَلْقَى اللَّهُ فِيهِمَا عَلَيْهِ النَّوْمَ؛ وَحُبُّ الْعَزْلَةِ وَالْإِنْكِمَاشِ، مَعْرُوفٌ
عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَازُ فِي

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

(المجلد التاسع عشر)

(٦٠)

(المنار: ج ٨)

نَشَأَتِهِ الْأُولَى عَلَى الْأَتْرَابِ ، بِالتَّزَامِ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَعُلُوِّ
 الْأَدَابِ ، فَبِذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمُ الْمَقَامُ الْمَكِينُ ، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالْأَمِينِ .
 عَلَى هَذَا الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشَدَّهُ وَأَسْتَوَى ،
 وَكَمَلَتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعَ الْقُوَى . — لَا طَمَعَ
 فِي مَالٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَلَا تَطَلُّعَ إِلَى جَاهٍ وَلَا شُهْرَةٍ . وَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدِيَ
 بِهِ مِنَ الْوَسْخِيِّ الرُّوْيَا الصَّالِحَةِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ
 فَلَقِ الصَّبْحِ ^(١) وَأَصْحَةَ ^(٢) ثُمَّ حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، ^(٣) وَكَانَ يَخْلُو بِنَارِ
 حِرَاءِ ^(٤) فَيَتَحَدَّثُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، ^(٥) ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ
 فَيَتَزَوَّدُ ^(٥) حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّانِ ، بِنَزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ .

- (١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه
 فرقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلاً ثم مستطيراً ومنه (فلق
 الاصبح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما
 رأى اذ تنطبع المعاني في مرآة روحه الصفيحة كما هي ، فهذا ضرب من الوحي وكانت
 مدته قبل وحي القفلة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر
 رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والاشفراد
 (٣) النار لقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار
 الذهاب منها الى منى . والنار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه
 الكعبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ،
 يتسع للمختلي فيه مجال الفكر ، والشعور بمفظة الرب ،
 (٤) أصل التحنث توقي الحنث أي الأثم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث
 بالعبء ، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالفكر خاصة ، واختلف في عدد
 الليالي التي كان يقضيها ويتزود ثلثها (٥) التزود اخذ الزاد من طعام وماء

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ بَانَ تَمَثَّلَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَلَقِنَهُ عَنْ رَبِّهِ
 أَفْضَلَ التَّنْزِيلِ ، قَالَ لَهُ أَقْرَأْ فَقَالَ « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » كَرَّرَا ذَلِكَ ثَلَاثَ
 مَرَّاتٍ ، وَهَذَا مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ لِأَمِنْ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ ، وَكَانَ
 الْمَلَكُ بَعْدَ كُلِّ جَوَابٍ يَنْطُهُ أَيُّ يَضُمُهُ إِلَى صَدْرِهِ وَيَعْصُرُهُ ، حَتَّى
 يَبْلُغَ مِنْهُ أَجْهَدُ مَبْلَغُهُ ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنْ تَغْلِبَ فِيهِ الرُّوحَانِيَّةُ
 عَلَى الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَسْتَعِدَّ لِتَلْقَى آيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيَكُونَ وَاسِطَةً
 بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، وَمُنْتَهَى الْخَاضِرِ وَمَبْدَأِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا أُرْسِلَهُ فِي
 الثَّلَاثَةِ قَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
 عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
 مَا لَمْ يَلْمَسْ) أَيُّ كُنْ قَارِئًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أُمِّيًّا ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ مِنْ عَلَقٍ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ، لَا بِأَسْمِي وَلَا
 بِأَسْمِكَ ، وَلَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي وَلَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
 جَمْعِكَ قَارِئًا لِآيَاتِ رَبِّكَ ، الَّتِي أَقْتَضَى جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يَرْسُمَهَا
 بِالْوَحْيِ فِي لَوْحِ قَلْبِكَ ، وَعَلَى تَعْلِيمِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ
 تَكُنْ تَعْلَمُ ، كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَغَيْرِ الْقَلَمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، —
 فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ ،
 وَقَدْ أَرْتَعَدَ بَدَنُهُ وَلَسِكُنْ حَفِظَ رَشَادَهُ ، فَقَالَ « زَمَّوْنِي زَمَّوْنِي »
 فَرَمَلُوهُ ، أَيُّ لَفَّوهُ بِالثِّيَابِ وَدَثَّرُوهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ أَخْبَرَ
 خَدِيجَةَ الْخَبَرَ ، وَقَالَ « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » أَيُّ الْهَلَاكِ أَوْ الضَّرَرِ ،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَحْزُنُكَ (١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لِتَصِلَ الرَّحِمَ، (٢)
وَتَحْمِلَ الْكَلَّ (٣) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى
نَوَائِبِ الْخَلْقِ (٥). ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيَ ثَلَاثَ سِنِينَ، قَوِيَ فِيهَا الْأَسْتِعْدَادُ
وَأَشْتَدَّ الشُّوقُ وَالْحُزْنُ. قَالَ «يَبْنَأُ أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ
السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِجِرَاءِ» وَذَكَرَ أَنَّهُ
رُعِبَ مِنْهُ أَيْضًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ دُونَ الرَّعْبَةِ الْأُولَى، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ
فَتَزَمَّلَ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْهُ وَرَبُّكَ فَكَبِّرُ
وَيُبَايِعُكَ فَطَهِّرْهُ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ثُمَّ سَمِيَ الْوَحْيَ وَتَتَابَعُ، وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يحزنك من أخزاه
بمعنى فضحه وأهانته (٢) أي تحسن للاقارب بما يليق بكل منهم
(٣) الكلال بالفتح الثقيل حملا أو عيالا أو طبعا والمتعب، أي تحمل أثقال الناس
أو تحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب احتياج ما هو
عادم له (٥) النوائب النوازل بالمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير
باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلها
واعتمادها ان من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يحزبه. والحديث في
الصحيحين، وتتمته باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن
نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الانجيل العبرانية، وكان
شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي اذا
ترى؟ فاخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على
موسى. باليتني فيها جدع «اي شاب» ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك.
فقال له رسول الله «ص» او مخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة ان
توفي وفتروا الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ رَبِّهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَتَتَابَعُ (١) فَمَازَا
النَّبَأَ الْعَظِيمَ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَمْرُ الْعَظِيمِ الَّذِي
دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ
أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ؛

تليق دعوة الإسلام وفضلها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْمَائِلَ فِي حَدَائِقِهَا، الرَّاعِي شَرِيفَ التَّاجِرِ الْقَنُوعِ فِي
شَبَابَتِهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِزَوْجَتِهِ، الْوَالِدَ الْعَطُوفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَصَبِيَّتِهِ (٢)
الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِفْرًا، وَلَا كَتَبَ سَطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا
أَرْجَلَ شِعْرًا، النَّاشِئُ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأَثْمِيَّةِ، الَّتِي فَرَّقَتْهَا نَزَعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ،
وَأَسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا نَزَعَاتُ الْوَنَائِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّينِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتُ حُكُومَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْمُرْفِئَةِ،
لَيْسَ لَهَا رَيْسٌ مُتَبَوِّعٌ، وَلَا قَانُونٌ مُشْرُوعٌ؛ قَامَ فِيهَا يَدْعُوهَا إِلَى
تَوْحِيدٍ يَجْمَعُ جَرَائِمَ الْوَنَائِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَلُوْهِيَّةِ؛
وَإِلَى اسْتِبْدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأَثْمِيَّةِ، وَاسْتِبْدَالِ الْحِكْمَةِ
بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَرْكِيَةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخُرَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ
الْوَرَائِثِيَّةِ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِهَا وَحَوَاسِنِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

(١) التتابع (بالباء قبل انمين) التهافت والاسراع في الشر أو التتابع (بالباء

الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر
لقبان لعبدالله وهؤلاء من خديجة كبناته الاربع ، و ابراهيم من مارية القبطية

وَالْإِتِّفَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ
بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا ، وَأَعْمُ فَائِدَةً
وَتَقَمًا ، - قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابِ مُهَيِّمٍ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،
وَدِينِ أَنْزَلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَشَرِيْمَةِ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةِ
أَجْهَادِيَّةِ ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الْأَجْمَاعِيَّةِ ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ
الْإِنْسَانِيَّةَ ، بِاعْتِنَافِهَا الْبَشَرَ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ،
وَجَعَلِهِمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدْرِيَّةِ ، وَجَعَلَ دَرَجَةَ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظِ
الْمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدْبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَحُسْنَ
النِّيَّةِ ، فِي الْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ ، مَا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضًا تَقُومُ
بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ ، لِأَنَّهُ سِيَاحُ الْفَضِيلَةِ وَمَقْوَمُ
الْأَخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ . وَجَعَلَ الْقِتَالَ ضَرُورَةً تَقْدَرُ بِقُدْرَتِهَا ، وَيَجْتَهِدُ فِي
إِضْمَاعِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا ، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ ، وَلَا
الْأَجْرَاءُ وَلَا الْعِبَادُ ، وَلَا يُمَثَلُ فِيهَا بِالْقَتْلِ (١) وَلَا يُدْفَعُ عَلَى
الْجُرْحَى ؛ (٢) وَمَنْ رَجَعَتْ كِفْتُنَا بِالْإِنْحَانِ (٣) فِي الْأَعْدَاءِ ، نَكْتَفِي

(١) التمثيل بالقتيل تشويبه بقطع بعض أعضائه كجذع الأنف وطم الأذنين
وقلع العينين (٢) التدفيع على الجريح الإجهاز عليه أي إمامته (٣) الانحان
في الأعداء إضعافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الإسلام وإصلاحه =

بِالْأَسْرِ عَنْ سَفَكِ الدَّمَاءِ ، (فَإِمَّا مَنَا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ
 الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ، ^(١) وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوْقَدَتْ نَارَهَا ،
 وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ جَنَحْنَا لَهَا ، ^(٢) لِأَنَّنَا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ، — إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْلَاحِ ، وَأَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَمِنْ
 أَهْمِّهَا أَحْكَامُ الرِّقِّ ، بِمَارْغَبٍ وَأَوْجِبَ فِيهَا مِنَ الْمَتَى . وَأَحْكَامُ
 الْيَتَامَى وَالنِّسَاءِ ، فِي الْخُفُوقِ وَالْإِرْثِ وَالْتَصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ ،
 وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا لِإِصْلَاحِ الْمَعْظِمِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي
 عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
 قَامَ يُنَبِّئُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ
 الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنَ لِيُنذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، ^(٣)
 وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= ابطال ما كانت الامم تستبيحه من استئصال اعدائها . ولم يكف بمنع قتل
 من لا يقا تل منهم حتى امر بان يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم اذا ضعفوا وامنا
 شرهم، وان نكتفي حينئذ باسرههم، وخيرنا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك
 أسرهم بلا مقابل، وبين فداء اسرانا عندهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله
 تعالى (حتى اذا انجتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل ويطلق على الذنب، والمعنى حتى تنقضي
 الحرب بوضع الحار بين لا تقالها من السلاح والذخائر عن انفسهم — وقيل بترك
 الكفار للديوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث
 اللفظ (٣) أي وينذر به كل من بلغه ووصلت اليه دعوته من سائر الامم

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا) ؛ وَيُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ دَعْوَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ
اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَهُمْ بَصْرَ وَالشَّامَ ، وَيُعْطِيهِمْ مُلْكَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَنَّهُمْ
سَيَكُونُونَ هُمُ الْأَثَمَةُ الْوَارِثِينَ ، (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
وَلِيُمَسِّكَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

قَامَ ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} بِهَذِهِ الدَّعْوَةَ الْكُبْرَى ، وَذَكَرَ بِهَا قَوْمَهُ فَأَعْرَضَ
الْأَكْثَرُونَ عَنِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَعْزِلْ إِذْ كَتَبَ قُرَيْشٍ وَأَعْقَلَهُمْ لَهَا
سَبَبًا إِلَّا الْجُنُونَ ، أَوْ نَبَزَ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بِلِقَبِ شَاعِرٍ أَوْ كَاهِنٍ مَفْتُونٍ ،
إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ ،
لَمَّا هُوَ دُونَهَا بِمَرَّاحِلٍ ، — لَا حَوْلَ لَا قُوَّةَ ، لَا مَالَ لَا عَصَبِيَّةَ ، لَا سَلِيْقَةَ
فِي الشَّعْرِ تَجْذِبُ الْقَلْبَ ، لَا تَعَرُّنَ عَلَى الْخَطَايَا يُؤَثِّرُ فِي اللَّبِّ ، كَمَا يَعْلَمُونَ
أَنَّهُ طُبِعَ عَلَى الصِّدْقِ ، وَعَاشَ طَوِيلَ عُمُرِهِ عَيْشَةَ الْجِدَّةِ ، فَكَانَ أَقْرَبَ
مَا تُوصَفُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الظُّنُونِ ، أَنَّ قَالُوا إِنَّهَا تَزْعَمُ مِنْ تَزَعَاتِ
الْجُنُونِ ، وَلَوْلَا مَا آيَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ،
وَأَعْظَمِهَا هَذَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَلَوْلَا تَصَدِيقُ اللَّهِ

تَعَالَى إِيَادُ بِالْفِعْلِ ، كَمَا صَدَقَهُ بِذَلِكَ الْقَوْلِ الْفَصْلُ . لَقَالَ بِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ فِي
 كُلِّ حِينٍ ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُنَآخِرِينَ ،
 (ن) ، وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(١) * وَإِنَّكَ لَلْأَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ * فَسَدِّبْصِرْ
 وَيُبْصِرُونَ * بِأَيْكُمْ الْمُنْتَوُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(٢))

«أَيُّ بُرْهَانٍ عَلَى النُّبُوَّةِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا ، أَمْيُّ قَامَ يَدْعُو الْكَاتِبِينَ
 إِلَى فَهْمِ مَا يَكْتُبُونَ وَمَا يَقْرَأُونَ ، بَعِيدٌ عَنْ مَدَارِسِ الْعِلْمِ سَاحٍ
 بِالْعُلَمَاءِ لِيَمْتَحِنُوا مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ . فِي نَاحِيَةِ عَنْ يَنَابِيعِ الْعِرْفَانِ جَاءَ
 بِرَشِيدِ الْعُرْفَاءِ ، نَاشِيٌّ بَيْنَ الْوَاهِمِينَ هَبَّ لِتَقْوِيمِ عَوَجِ الْحُكْمَاءِ . غَرِيبٌ
 فِي أَقْرَبِ الشُّعُوبِ إِلَى سَدَاجَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَأَبْعَدِهَا عَنْ فَهْمِ نِظَامِ الْخَلِيقَةِ
 وَالنَّظَرِ فِي سُنَنِهِ الْبَدِيعَةِ ، أَخَذَ يُقَرِّرُ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ أُصُولَ الشَّرِيعَةِ ،
 وَيَخْطُ لِسَمَادَةِ طُرُقِ قَالَنَ بَهْلِكَ سَالِكُهَا ، وَلَنْ يَخْلُصَ تَارِكُهَا

«ما هذا الخطاب المُنْفِجِمُ؟ ما ذلك الدليل المُلْجِمُ؟ أَأَقُولُ ما هذا
 بِشَرًّا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ؟ لَا ، لَا أَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَقُولُ كما
 أَمَرُ اللهُ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ : إِنْ هُوَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ . نَبِيٌّ
 صَدَقَ الْأَنْبِيَاءُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِ فِي الْأَقْنَاعِ رِسَالَتِهِ بِمَا يُلْهِمِي الْأَبْصَارَ

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآتية التي اولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل

من حكيم حميد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

أَوْ يُخَيِّرُ الْخُلَاسَ، أَوْ يُدْهِشُ الْمُشَاعِرَ، وَلَكِنْ طَالِبُ كُلِّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ
فِيهَا أُعِدَّتْ لَهُ، وَأَخْتَصَّ الْعَقْلَ بِالْخُطَابِ وَمَا كَمَّ إِلَيْهِ أَنْخَطَا
وَالصَّوَابُ: وَجَعَلَ فِي قُوَّةِ الْبَلَامِ وَسُلْطَانِ الْبَلَاغَةِ وَسِجَةِ الدَّلِيلِ،
مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْخَلْقِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
خَلْفَهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^(١)

كَانَ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِنْبَاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمِثْلِ رَجُلٍ
فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَعْمَلُ طَبِيبٍ وَلَا عِلاجٍ،
فَادَّعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلْمَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَثَبَتْ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابِ عَالِجٍ بِهِ أَوْلِيكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أُعْضِلَ
دَاوُهُمْ، وَأَخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشَفَوْا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ؛ إِلَّا مَنْ
أَعْرَضَ عَن دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَتْ بَدَانَتُهُ، بَلِ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ
الْآنَ إِنَّ مَدَاوَةَ أَمْرَاضِ الْأُمَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، أَعَزُّ
وَأَعْسَرُ مِنْ مَدَاوَةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ الْآنَ مَنْقُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْمَدَارِسِ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا، وَتَلَقَّاهَا عَن أَسَاتِدَتِهَا،
يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا الْقَوْلُ فِي أُمَّيِّ نَسْأَ
بَيْنَ أُمَّيِّينَ، فَمَ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحِ الَّذِي تَغْيِيرُهُ تَارِيخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ،
فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَأُمَّتَهُ مَعَ لُغْتِهِ

(١) هذا آخر ما اقتبسناه من رسالة التوحيد وفيها بعده الكلام على القرآن

فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ أَوْزُبَةِ مِنَ الْقَرَبِ ، وَإِلَى
 حُدُودِ بِلَادِ الصِّينِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، حَتَّى خَضَعَتْ لَهُ الْأُمَمُ ،
 وَدَالَتْ لِدَوْلَتِهِ الدُّوَلُ ، وَكَانَتْ تَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ فُتُوحِهِ الْخَضَارَةُ
 وَالْمَدَنِيَّةُ ، وَالْمُلُومُ الْعَقَلِيَّةُ وَالْكُورِيَّةُ ، عَلَى أَيْدِي تِلْكَ الْأُمَّةِ
 الْخَدِيثَةِ الْمَهْدِ بِالْأُمَّيَّةِ ، الَّتِي عَلَّمَهَا الْقُرْآنُ أَنَّ إِصْلَاحَ الْإِنْسَانِ ،
 يَتَّبِعُهُ إِصْلَاحُ الْأَكْوَانِ ، فَهَلْ يُسْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا
 بِوَحْيٍ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، وَتَأْيِيدٍ مَبَاوِيٍّ مِنَ الْإِلَهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ
 الرَّحِيمِ ، أُخْتَصَّ بِهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْأَمِيُّ الْكَرِيمُ ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؟

مناهضة الدعوة ، وإلحاد الرسول الى الرسوخة

بَدَأَ دَعْوَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنذَارِ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ ، مَنْ فِي
 مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنَ الْمُؤَالِيِّ وَالْمُؤَافِدِينَ ، فَلَقِيَ أَشَدَّ الْجُحُودِ وَالْإِيذَاءِ
 مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى صَدَّوهُ عَنْ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ أَبِي لَهَبٍ :
 خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ ، قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَخْرَجُوا عَمَهُ أَبَا
 طَالِبٍ وَالْأُمَّةَ مِنْ مَكَّةَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ
 بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلِبِ ، وَدَخَلَ بِهِمْ وَمَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي الشُّعْبِ ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ مُقَاطِعَتِهِمْ ، وَعَدَمَ مَصَاهِرَهُمْ ؛ وَأَنَّ
 لَا يَبِيعُوهُمْ وَلَا يَتَّاعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صِلْحًا ، إِلَّا

أَنْ يُسَلِّمُوا مُحَمَّدًا لِقَتْلِ ، فَمَكَثُوا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي الشَّعْبِ ، وَهُمْ فِي
 أَشَدِّ الْبَلَاءِ وَأَجْلَهْدِ ، وَكَانَ بَعْضُ مَا مَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِ ، أَنْ أَكَلُوا وَرَقَ
 الشَّجَرِ ، ثُمَّ أَشْتَدَّ إِيْذَاهُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ بِمَدِّ وَفَاةٍ خَسِيفَةٍ
 وَأَيُّ طَالِبٍ ، وَقَدْ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَهَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي
 مَوْسِمِ الْحَجِّ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِلْقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْ
 قُرَيْشٍ أَحَدًا ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ سَنَةً تَقَرَّرَ مِنْ أَهْلِ
 يَثْرِبِ ، ^(١) ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوْسِمِ آخَرَ ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ
 الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ
 الْقُرْآنَ . فَفُشِيَ الْإِسْلَامُ فِيهِمْ ، وَجَاءَهُ فِي الْمَوْسِمِ الثَّلَاثِ أَعْرَافَاتَانِ وَثَلَاثَةٌ
 وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَهُهِمْ ،
 وَأَنْ يَمْنَعُوهُ - أَيَّ يَحْمُوهُ - مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ،
 فَتَمَهَّدَتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جَهْدًا مِنْ آمَنَ
 بِهِ إِلَى الْكَلْبَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْتَفِينَ ،
 فَكَانَ الْقَادِرُونَ يَهَاجِرُونَ أَرْسَالًا مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكْبَرُ
 قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتَّبِعُ أَصْحَابَهُ بِاللَّسْرِ ، فَفَزِعُوا إِلَى
 الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهَيِّئُ رَاحِلَتَيْنِ
 وَزَادَا وَدَلِيلًا لِلْهَجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ
 يَأْتِعُونَ ^(٢) بِالرَّسُولِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، فَبِمَعْضَمٍ يَرَى نَفْسَهُ وَبِمَعْضَمٍ

(١) هي المدينة المنورة (٢) يتشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَةً وَبَعْضُهُمْ يَرْجِحُ قَتْلَهُ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا جَلْدًا ، ^(١) يَقْفُونَ أَمَامَ دَارِ دَلِيلًا ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ضَرْبُهُ بَسِيُوفِهِمْ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي بَجِيعِ الْقَبَائِلِ ، فَبَرَضَى بَدَيْتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ أُوَانِكَ الشُّبَّانُ عَلَى بَابِهِ ، أَمَرَ عَلِيًّا بَانَ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرُ بِرِدِيهِ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنَ يَمِينِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلَا شَمَّرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، فَتَرَوْنَ النَّائِمَ فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ^(٢) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

(لها بقية)

صدر من دار الدعوة والدراسات

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الامراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافض أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالإيطالية كلمتان [mal aria] ومعناها «الهواء الفاسد» سميت به هذه الحمى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

(١) القوي الصابر (٢) المسكر التدبير الخفي الذي يفضي بالمكور به إلى ما لا يعلم ولا يحتسب ويكون في الشر غالباً وقد يكون لابطال الشر أو للتخير ومنه مكر الله عز وجل . والاثبات الاعتقال، والاخراج النفي